جامعة حائل

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الثانية

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أزهار غازي

٢٠١٥ م

١٤٣٦هـ

ثالثاً : بدء انتشار الإسلام في المدينة :

ان الانقسام السياسي الحاد بين الاوس والخزرج الذي دفعهم لمقاتلة بعضهم بعضاً او التحدي العقائدي الذي كان يفرضه عليهم وجود اليهود بينهم في المدينة ، بالاضافة الى بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي اوضحنا ابعادها في الفصل الاول ، كان يفرض على اهل المدينة حالة من التأزم والقلق النفسي الذي يدعوهم بشكل ملح الى البحث عن علاج جذري لاوضاعهم الصعبة.

ويبدو ان هذه الاوضاع كانت واضحة في ذهن الرسول ﷺ لان تطلعه للبحث عن موطن آخر للدعوة كان يفرض عليه متابعة الاوضاع في المدن القريبة من مكة عسى ان يفلح في اجتذاب اهلها الى قضيته ، بالاضافة الى ان لمدينة يثرب مكانة خاصة في نفسه ، وذلك لان أخوال ابيه من بني النجار كانوا من اهلها وان اباه عبدالله كان قد توفى ودفن فيها.

فكان من الطبيعي ان يتصل الرسول ﷺ بأهل المدينة للتحاور معهم ، وعرض نفسه عليهم كلما سنحت الفرصة لذلك ، وبخاصة خلال مواسم الحج . يقول ابن اسحاق : انه حين « اراد الله عز وجل اظهار دينه ، واعزاز نبيه ﷺ وانجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم... كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة ، لقي رهطاً من الخزرج اراد الله بهم خيراً... — فقال — لهم : من انتم؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : امن موالي يهود؟ قالوا : نعم ، قال : افلا تجلسون اكلمكم؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان مما صنع الله بهم في الاسلام ، ان يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا اهل كتاب وعلم . وكانوا اهل شرك واصحاب اوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم : ان نبياً مبعوثاً ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم قتل عاد وارم ، فلما كلّم رسول الله ﷺ اولئك النفر ، ودعاهم الى الله ، قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلموا والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه . فأجابوه فيما دعاهم اليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام ، وقوالوا : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، فعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ، ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك . ثم

انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا »[٢٩] . وكان عدد هؤلاء النفر كما يذكر ابن اسحاق ستة اشخاص ، اثنان منهم من بني النجار[٣٠] .

ان الحوار آنف الذكر يعكس قضيتين كبيرتين كانتا تشغلان اذهان ابناء الاوس والخزرج في المدينة وهما التحدي العقائدي والسياسي الذي كان يفرضه اليهود على عرب المدينة من خلال تهديدهم لهم بقرب ظهور نبي من بينهم يتبعونه ويقاتلون العرب تحت رايته . والثاني انقسام عرب المدينة على انفسهم ، ومحاربة بعضهم بعضاً ، مما أفقد الناس الشعور بالامن والاطمئنان[٣١] ، وكانت آخر تلك الحروب حرب بعاث التي وقعت في حدود سنة ٦١٢م ، اي قبل لقائه بهؤلاء الاشخاص بنحو ثلاث سنين.

ويبدو ان هؤلاء الافراد من الخزرج قد ادركوا ان الاسلام يشكل حلاً جذرياً لمسألة انقسام اهل المدينة على انفسهم ، ومسألة التحدي اليهودي لهم ، وذلك لأن الرسالة الاسلامية بما تقوم عليه من توحيد الله وايمان بالرسول ﷺ ، وقبول التعاليم القرآن كفيلة بتوحيد المجتمع على اسس تتجاوز الاسس القبلية المفرقة وتمنح ابناءه رسالة دينية موحدة تقضي على تعالي اليهود وادعاءاتهم حول تفوقهم العقائدي بصفتهم اصحاب ديانة سماوية.

وكانت شخصية الرسول ﷺ المحايدة بين مختلف الاطراف المتنازعة في المدينة ، تتيح المجال لاجتماع اهل المدينة تحت قيادتها ، وبخاصة وان قيادة الرسول ﷺ لاتقوم على اساس الاعتبارات القبلية المفرقة وإنما تستند على رسالة السماء الموحدة لكل من يؤمن بها.

ويلاحظ ان هؤلاء المؤمنين الاوائل من اهل المدينة لم يسارعوا بدعوة الرسول ﷺ الى مدينتهم او التعهد بحمايتهم له ان جاء اليها لانهم كانوا يدركون عمق الانقسام القائم بين الناس في المدينة. لذا فقد وعدوه بأن يعودوا الى قومهم ، ويعرضوا عليهم رسالة الاسلام ، فان نجحوا في اقناعهم وتوحيدهم على اساس رسالة الاسلام ، فلن يكون هنالك رجل أعز منه بين قومه.

وقد ذكر ابن سعد ان الرسول ﷺ بادر الى طلب الذهاب الى المدينة لدعوة اهلها الى الاسلام بعد ان آمن هؤلاء الاشخاص به ، بشرط ان يتعهدوا بحمايته في اثناء قيامه بهذه المهمة ، فقال لهم : « تمنعون لي ظهري حتى ابلغ رسالة ربي ؟ فقالوا : يارسول الله ، نحن

(٢٩) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٢٩ .
(٣١) المديني ، د. نزار : مظاهرات في تاريخ العرب ، بغداد ١٩٧٩ ص ٨٤ – ٨٦.

مجتهدون لله ولرسوله ، نحن ، فاعلم ، اعداء متباغضون ، وانما كانت وقعة بعاث ، عام الاول ، يوم من ايامنا اقتتلنا فيه ، فان تقدم ونحن كذا لايكون لنا عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا ، لعل الله يصلح ذات بيننا ، وموعدك الموسم العام المقبل »(٣٢)

لقد أرسى هذا الاتفاق الذي تم بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء النفر من الخزرج الأساس للخطوات التي تلتها على طريق انتشار الاسلام في المدينة وقيام الدولة العربية الاسلامية ، وما ترتب على ذلك من مفاخر وأمجاد . فلا غرابة ان تختلف الروايات التي وصلتنا في تحديد أسماء وعدد من شاركوا في هذا الاتفاق ، لأن ذلك قد غدا مفخرة للأسر والعشائر التي ينتمون اليها . وقد عبّر ابن سعد عن هذه المشكلة بقوله : « فاختلف علينا في أول من اسلم من الأنصار وأجاب ، فذكروا الرجل بعينه ، وذكروا الرجلين ، وذكروا أنه لم يكن أحد أول من الستة ، وذكروا أن أول من أسلم ثمانية نفر.. »(٣٣) . غير أن الرأي الأثبت والمجتمع عليه عند أغلبية الرواة كما يروى ابن سعد عن الواقدي هو أن أول من قابل الرسول ﷺ وآمن به هم النفر الستة الذي عرضنا لاتفاقهم مع الرسول ﷺ استناداً الى ما أورده ابن اسحاق في هذا المجال(٣٤) .

لقد قدر لهؤلاء الستة من أبناء قبيلة الخزرج ان يحققوا نجاحا باهرا في دعوة قومهم الى الاسلام بعد عودتهم الى المدينة « فلم يبق دار من دور الأنصار الاّ وفيها ذكر من رسول الله ﷺ » .(٣٥)

ويلاحظ ان المصادر لم تزودنا بأية معلومات عن طبيعة تحرك هؤلاء الأفراد في نشر الاسلام في المدينة ، ولا الكيفية التي استطاعوا بها اقناع قومهم بالاجتماع حول العقيدة الجديدة وبخاصة وان نجاحهم لم يقتصر على أفراد عشيرة الخزرج ، بل امتد ليشمل العشيرة المناوئة لهم وهي عشيرة الأوس . ويبدو ان طبيعة الظروف التي كان يعيش فيها أهل المدينة وخطورة التحديات التي كانت تواجههم قد ساعدت على سرعة استجابتهم للدعوة كما أوضحنا ذلك آنفاً . بل ان هنالك من الدلائل ما يشير الى ان أهل المدينة كانوا يتابعون أخبار الدعوة الاسلامية في مكة قبل ان يشيع أمرها بين العرب ويعتنقها بعض

---

(٣٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٣٥) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣٠ .

ابناء المدينة . فقد أورد ابن كثير عن ابن اسحاق أنه قال : «ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب ، وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ، ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار يهود»(٣٦) .

وقد أشار ابن سعد الى وجود نوع من التواصل بين الرسول ﷺ وبين بعض أهل المدينة قبل اسلام النفر الستة ، فذكر ان ذكوان بن عبد قيس ، واسعد ابن زرارة «كانا قد خرجا الى مكة يتنافران فسمعا بالنبي ﷺ ، فاتياه فأسلما ورجعا الى المدينة ، وشهد ذكوان العقبتين جميعاً في روايتهم جميعا ، وكان قد لحق برسول الله ﷺ ، بمكة فأقام معه حتى هاجر معه الى المدينة فكان مهاجرا أنصاريا»(٣٧) ، ان هذه الرواية تدل في حالة صحتها على وجود خطوط اتصال بين الرسول ﷺ وبين أهل المدينة تساعده على التعرف على أوضاع المدينة وتوجيه أنصاره فيها ، وأن أحد هذه الخطوط هو ذكوان بن عبد قيس بالاضافة الى آخرين أمثال عقبة بن وهب(٣٨) ، وزياد بن لبيد البياضي(٣٩) ، الذين هاجروا الى مكة من المدينة وأقاما مع الرسول ﷺ في مكة حتى غادرها مهاجرا الى المدينة ، فاكتسب كل منها صفة «المهاجري الأنصاري»(٤٠) .

رابعا : بيعة العقبة الأولى :

تمثل بيعة العقبة الأولى خطوة متقدمة على طريق التزام أهل المدينة بقضية الاسلام ، وعزمهم على تسليم قيادتهم للرسول ﷺ . فبعد ان استجاب الكثير من أهل المدينة للدعوة بعد عودة النفر الستة اليها «فلم يبق دار من دور الأنصار الاّ وفيها ذكر رسول الله ﷺ»(٤١) ، توجه الى مكة في موسم الحج من السنة الحادية عشرة للبعثة الموافقة لسنة ٦٢١ م ، اثنا عشر رجلا من أهل المدينة كان بضمنهم خمسة من النفر الذين قابلوه وآمنوا

---

(٣٦) ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .
(٣٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ، ص ٥٩٢ ، ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣١ .
(٣٨) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٩٨ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٥ ، ٥٩٨ .
(٤١) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣٠ .

به في العام السابق ، وقد كان اثنان من هؤلاء الرجال ينتميان الى قبيلة الأوس ، في حين كان بقية الرجال من قبيلة الخزرج (٤٢) .

ويلاحظ ان مشاركة الأوس الى جانب الخزرج في التوجه الى مكة لمبايعة الرسول ﷺ يعد نجاحا كبيرا للدعوة لأنها استطاعت بذلك أن تتغلب على عامل المنافسة والخصام بين القبيلتين وتصبح وسيلة لجمع أعداء الأمس وتوحيدهم .

لقد التقى هؤلاء الرجال بالرسول ﷺ في موضع يدعى العقبة ، «وهي مكان بين منى ومكة ، بينها وبين مكة نحو ميلين» (٤٣) ، فبايعوا الرسول ﷺ على الالتزام بمجموعة من المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الاسلام . وقد عرفت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى . كما أطلق عليها فيما بعد وصف بيعة النساء (٤٤) ، لأن الرسول ﷺ بايع على نفس هذه المبادئ نساء قريش حين اسلمن بعد فتح مكة (٤٥) . وقد أشار القرآن الكريم في سورة الممتحنة الى هذه البيعة ، والمبادئ التي تضمنتها بقوله : ﴿ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم﴾ (٤٦) .

ان مما يجدر ذكره في هذا المجال ان المصادر التاريخية قد اكتفت بتزويدنا بمضمون بيعة العقبة الاولى الذي يطابق ماجاء في القرآن الكريم ، ومن دون الاشارة الى مادار بين الرسول ﷺ وبين أصحاب البيعة من حوار ومناقشات . يروي ابن اسحاق عن عبادة ابن الصامت انه قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل ان تفترض الحرب ، على ان لاتشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان تفتريه بين ايدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف – فقال لهم الرسول ﷺ – : فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عزّ وجل ان شاء عذب وان شاء غفر» (٤٧) .

---

(٤٢) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٣١–٤٣٣ .

(٤٣) الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٧٨ .

(٤٤) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣١ .

(٤٥) ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ، الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٧٩ .

(٤٦) سورة الممتحنة ، الآية ١٢ .

(٤٧) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣٣ .

ويلاحظ انه على الرغم من ان الطابع العام لمضمون هذه البيعة كان ذا طبيعة دينية أخلاقية ، الاّ أنه لم يخل من البعد السياسي ، وذلك لأن هذه البيعة نصت على ان يتعهد المبايعون بأن لايعصوا رسول الله ﷺ في معروف أي أن يلتزموا بطاعته . وبذلك يكونوا قد سلموا له بأمر قيادتهم ليس على المستوى الديني والأخلاقي فحسب . وانما على المستوى السياسي ايضا .

وبعد أن غادر رجال بيعة العقبة الأولى مكة عائدين الى مدينتهم ، قام الرسول ﷺ بارسال أحد اصحابه الأوائل مصعب بن عمير الى المدينة «وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، يفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب . وكان منزله على أسعد بن زرارة »(٤٨) . وقد ذكر ابن اسحاق ان مصعباً كان يصلي اماما بالناس «وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض»(٤٩) ، وربما كان ذلك لشدة الخصومة بينهم وحداثة عهدهم بالاسلام .

وقد أشار ابن سعد الى ان ارسال مصعب الى المدينة جاء استجابة من الرسول ﷺ لطلب أهل المدينة فقد «كتبت ألاوس والخزرج الى رسول الله ﷺ : ابعث الينا مقرئا يقرئنا القرآن ، فبعث اليهم مصعب بن عمير : »(٥٠) .

ويستنتج من الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية أن مهمة مصعب في المدينة لم تكن مقتصرة على الأمور المشار اليها آنفا ، وانما تعدتها الى نشر الاسلام في المدينة وتأمين قاعدة آمنة للدعوة فيها . روى عن عروة بن الزبير ان مصعبا بعد ان نزل في المدينة «جعل يدعو الناس سرّا ، فيفشو الاسلام ويكثر اهله ، وهم في ذلك مستخفون بدعائهم »(٥١) .

ويبدو أن مصعب بن عمير كان حريصا على نشر الدعوة بين أفراد قبيلة الأوس بصورة خاصة ، وذلك لأن معظم من كان قد أسلم كانوا من الخزرج ، لذا فانه كان يريد كسب الأوس الى جانب الدعوة من أجل توحيد أهل المدينة تحت رايتها .

غير ان هذا النشاط لم يكن يحظى بتأييد زعماء الأوس لأنهم كانوا لايزالون على الشرك ، لذا فان مصعبا كان يراعي في نشاطه الحذر والسرية . لقد أوضح ابن اسحاق

---

(٤٨) المصنف : ق ١ ، ص ٢٣٤ .

(٤٩) المصنف : ق ١ ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٥٠) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٥١) ابن الزبير : مغازي رسول الله ، ص ١٢٣ .

طبيعة العمل في ظل هذه الظروف عند حديثه عن اسلام أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ وهما من زعماء الأوس، فذكر ان أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر من الأوس، فدخل بستانا لبني ظفر حيث اجتمعا فيها ببعض المسلمين من الأوس. فلما سمع ابن معاذ وأسيد بن حضير بذلك «قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير، لاأبالك، انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فأزجرهما، وانهها عن أن يأتيا دارينا، فانه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولاأجد عليه مقدماً»[٥٢].

فلما ذهب أسيد بن حضير اليهما، افلح مصعب في حمله على الاصغاء له ثم لم يلبث أن أقنعه بقبول الدعوة وإعلان اسلامه، الأمر الذي سّهل على مصعب عملية الانتقال الى سعد بن معاذ لدعوته الى الاسلام. ويلاحظ ان سعد قد استجاب للاسلام بسهولة بمجرد أن جلس الى مصعب وسمع شيئا من القرآن الكريم، مما يدل على وجود الاستعداد النفسي لديه لقبول الاسلام[٥٣]. جاء في رواية عن ابن الزبير ان سعد بن معاذ قال حين قرأ عليه مصعب القرآن: «ماأسمع الاّ ما أعرف»[٥٤].

لقد ترتب على اسلام سعد بن معاذ أن اسلم جميع بني عبد الأشهل باسلامه ودعائه. ويقال: ان سعدا حين اسلم «رجع الى قومه، فدعا بني عبد ألاشهل الى الاسلام، وأظهر اسلامه، وقال: من شك فيه من صغير اوكبير او انثى او ذكر فليأتنا باهدى منه تأخذ به»[٥٥].

وهكذا استطاع مصعب أن ينتقل بالدعوة من اسلوب الحذر والسرية الى اسلوب العلانية بعد أن اسلم سيدا بني عبد الأشهل، سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير مع كافة أفراد العشيرة. حتى ان مصعبا انتقل من دار أسعد بن زرارة بعد أن ضاق قومه من بني النجار بنشاطه الى سعد بن معاذ، «فلم يزل عنده يدعو، ويهدي الله على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار الاّ أسلم ناس لا محالة وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهلها، وصلح أمرهم»[٥٦].

---

(٥٢) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٣٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٥٤) ابن الزبير: مغازي رسول الله، ص ١٢٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

ويبدو أن المسلمين في المدينة قد استطاعوا أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية، حتى أنهم بدأوا بالاجتماع لأداء صلاة الجمعة قبل ان تشرع صلاة الجمعة، اي قبل ان يأمر الرسول ﷺ المسلمين بأدائها. فقد ذكر ان اسعد بن زرارة كان اول من جمع الناس لاداء صلاة الجمعة في المدينة، وكان عددهم يومئذ اربعين رجلاً[٥٧]. غير ان روايات اخرى تؤكد ان اول من فعل ذلك قبل ان يهاجر الرسول ﷺ الى المدينة هو مصعب بن عمير[٥٨]، ولو امكن الجمع بين الروايتين لجاز لنا القول أنه ربما كان أسعد بن زرارة هو أول من جمع الناس للصلاة في يوم الجمعة، الاّ أنه حينما وجد بعض الأوس يتحرجون في الاقتداء به بدافع العصبية ضد الخزرج، طلب من مصعب أن يصلي في الناس وذلك لأن الأوس والخزرج «كره بعضهم أن يؤمه بعض»[٥٩].

خامساً: بيعة العقبة الثانية:

حين أقبل موسم الحج من السنة التالية للسنة التي وقعت فيها بيعة العقبة الأولى، أي في سنة ١٢ للبعثة الموافقة لسنة ٦٢٢م «مشى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا بعضهم الى بعض يتواعدون المسير الى الحج وموافاة رسول الله ﷺ»[٦٠] في مكة لغرض دعوته للهجرة الى مدينتهم حيث ائتمروا جميعا وقالوا: «حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟»[٦١].

وقد ذكر ابن اسحاق ان عدد المسلمين الذين ذهبوا الى مكة مع حجاج قومهم من أهل الشرك كان ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين[٦٢]. الاّ ان ابن سعد يشير الى ان عددهم كان سبعين، يزيدون رجلا او رجلين ضمن حجاج الأوس والخزرج من المشركين الذين

---

(٥٧) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٣٥، ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٣٩.

(٥٨) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ١١٨-١١٩.

(٥٩) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٣٥.

(٦٠) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٢١.

(٦١) ابن كثير: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٣٤.

(٦٢) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٤١.

بلغ مجموعهم مع المسلمين الخمسمائة[٦٣] . وقد أوضح عروة بن الزبير أن وفد الأنصار كان يضم أربعين رجلا من ذوي أنسابهم وأشرافهم ، وثلاثين شابا[٦٤] .

ولا تتفق المصادر على دور مصعب بن عمير في توجه وفد الأنصار الى مكة ، ففي الوقت الذي يذكر فيه ابن اسحاق ان مصعبا كان قد رجع الى مكة قبل أن يتوجه وفد الأنصار اليها[٦٥] . يقول ابن سعد ان مصعبا «خرج مع السبعين حتى وافوا الموسم مع رسول الله ﷺ»[٦٦] .

وبعد وصول وفد الأنصار الى مكة قابلوا رسول الله ﷺ فيها فواعدهم على الاجتماع بهم عند العقبة بعد أن يفرغوا من أداء مناسك الحج . وأمرهم ان يلتزموا بالسرية التامة حين التوجه اليه فلا «ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً[٦٧] .

وعندما حان موعد الاجتماع ، ومضى ثلث الليل ، خرج الأنصار من رحالهم لحضور موعدهم مع الرسول ﷺ يتسللون «تسلل القطا مستخفين» حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة[٦٨] .

وكان الرسول ﷺ قد سبقهم الى مكان الاجتماع وبصحبته عمه العباس بن عبدالمطلب ، وكان لايزال مشركاً[٦٩] وقد شكك بعض الباحثين المعاصرين في واقعة حضور العباس هذا الاجتماع ، وعدوا ذلك محض اختراع «استخدمته الدعاية العباسية»[٧٠] لتقوية مركز الخلفاء العباسيين الذين كانوا ينتسبون للعباس .

غير ان اجماع المضادر التاريخية على ذكر هذه الواقعة يجعل من غير المناسب التسرع في اعمال مبدأ الشك وبخاصة وان بالامكان افتراض ان الرسول ﷺ قد أفلح في اقناع عمه العباس بأداء دور الحامي والمدافع عنه ، كما كان يفعل أخوه ابو طالب من أجل تقوية

---

(٦٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢١ .
(٦٤) ابن الزبير : مغازي رسول الله ، ص ١٢٥ .
(٦٥) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٣٨ .
(٦٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(٦٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢١ .
(٦٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٤١ .
(٦٩) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٤١ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ ، الطبري : تأريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٧٠) وات : محمد في مكة ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

مركزه امام الأنصار فلا يبدو رجلاً قد تخلى أهله وعشيرته عنه في مجتمع يقيم لمثل هذه الانتماءات وزناً كبيراً. لذا فقد ذكر ابن اسحاق ان العباس «أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له»[٧١].

ويلاحظ ان الروايات لاتتفق فيما بينها على تفاصيل ماأوردته عن بيعة العقبة، لكن الصورة الاجمالية لما وقع في الاجتماع هي موضع اتفاق بينها.

لقد افتتح العباس الاجتماع بتوجيه خطابه الى الحاضرين من الأوس والخزرج بقوله: «ان محمداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وانه قد أبى الاّ الانحياز اليكم، واللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فمن الآن فدعوه، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده»[٧٢].

وقد عقّب الأنصار على كلام العباس بقولهم: «قد سمعنا ماقلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ولربك ماأحببت»[٧٣]، مما يشير الى حماسة الأنصار واستعدادهم الكامل للاستجابة لشروط الرسول ﷺ للهجرة الى مدينتهم. «فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا الى الله، ورغب في الاسلام، ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم... فاخذ البراء بن معرور (من الخزرج) بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر..»[٧٤]، فقاطعه ابو الهيثم ابن التيهان من الأوس فقال: «يارسول الله، ان بيننا وبين الرجال حبالا، وانا قاطعوها- يعني اليهود- فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا؟... فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم»[٧٥].

---

(٧١) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٤١.
(٧٢) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٤١- ٤٤٢.
(٧٣) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٤٢.
(٧٤) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٤٢.
(٧٥) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٤٢.

ان ماتقدم يشير الى ان بيعة العقبة الثانية قد تضمنت تعهدا من الأنصار بحماية الرسول ﷺ حينما يصل الى مدينتهم والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم . وفي المقابل ، فقد عدّ الرسول ﷺ نفسه واحداً منهم ، يتضامن معهم في جميع الأحوال .

ويلاحظ ان المتحدثين من الأنصار كان أحدهما من الخزرج والآخر من الأوس ، وبذلك عبّروا عن وحدة موقف مسلمي المدينة تجاه دعوة الرسول ﷺ للهجرة الى المدينة . ولكن ماهو موقف بقية سكان المدينة من المشركين واليهود .. يبدو ان مبايعة الأنصار قد تمت من دون علم هذه الأطراف ، وذلك لحرص الرسول ﷺ والأنصار على احاطة اتفاقاتهم في مراحلها المبكرة بالسرية ، ووضع قريش وأهل المدينة من غير المسلمين أمام الأمر الواقع . ويظهر من الحوار الذي دار بين ابي الهيثم بن التيهان والرسول ﷺ ان احتمالات حصول مشكلات بين بعض أهل المدينة والأنصار بحيث تؤدي الى قطع الروابط التي تربطهم بهم ، كانت موضع اعتبار . لذا أكد الرسول ﷺ للأنصار أن اتفاقه معهم هو اتفاق نهائي لا رجعة فيه ، يلتزم بموجبه الرسول ﷺ بمحاربة من يحارب الأنصار ومسالمة من يسالمونه .

لقد طلب الرسول ﷺ من الأنصار بعد ان تمت مبايعتهم له ان يخرجوا له اثني عشر نقيبا ليكونوا كفلاء على قومهم وأن يكون هو كفيلاً على المسلمين من قومه في مكة (٧٦) . فقال لهم : «اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم» (٧٧) فأخرجوا له تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس . وذلك لأن عدد الخزرج بين الأنصار كان أكبر بكثير من عدد الأوس الذين لم يزيدوا عن أحد عشر شخصاً من مجموع الذين بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية (٧٨) .

ويبدو أن مشركي مكة وصلتهم بعض الأخبار غير المؤكدة عن اجتماع العقبة ، وأدركوا أن ذلك في حالة حصوله قد يكون بداية لتدهور علاقاتهم الحسنة مع أهل المدينة . لذا فقد توجه بعض رجال المشركين اليهم ، فقالوا لهم : «انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وانه والله مامن حي من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم» (٧٩) ، فانبرى بعض مشركي المدينة

---

(٧٦) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٤٦ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٤٣ .

(٧٨) الحديثي ، د. نزار : الأمة والدولة في سياسة النبي والخلفاء الراشدين ، ص ٩٥ .

(٧٩) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٤٨ .

ممن لم يكونوا يعلمون شيئاً عن هذا الأمر بتكذيب الخبر. ويروى ان عبدالله بن ابي بن سلول ، وهو أحد زعماء الخزرج ، قال لهم : «ان هذا لأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوقوا علي بمثل هذا ، وما علمته كان»(٨٠) .

لقد أشير الى ان زعماء المشركين في مكة استاؤوا كثيرا من موقف أهل المدينة حينما تأكدوا من خبر مبايعتهم للرسول ﷺ على الهجرة الى مدينتهم(٨١) ، حتى أنهم حاولوا تعقب أثرهم بعد مغادرتهم مكة من أجل الحاق الأذى بهم ، الاّ انهم لم يفلحوا سوى في القاء القبض على سعد بن عبادة أحد النقباء من الخزرج فأتوا به مكة وهم يضربونه ، ولم يستطع الخلاص منهم الاّ بعد ان ذكرهم باجارته لتجارهم الذين يمرون بالمدينة ، فأطلقوا سراحه(٨٢) .

ان بيعة العقبة الثانية كانت بداية النهاية للمرحلة المكية من الدعوة التي اتسمت بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. لذا فقد شكلت شروط البيعة بداية اسلوب جديد ، يسمح باستخدام القوة واللجوء الى الحرب في مجاهدة الأعداء. روى ابن اسحاق أن عبادة بن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال : «بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب – وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء – على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق اينما كنّا ، لانخاف في الله لومة لائم»(٨٣) .

ويلاحظ أن الشروط الواردة في حديث عبادة بن الصامت لم ترد بهذه الصراحة والوضوح في المداولات والحوارات التي رويت لنا عن بيعة العقبة الثانية ، مما يدل على أنها كانت في ضمن المفهوم العام للبيعة التي كرّست مركز الرسول ﷺ ، بالنسبة لأهل المدينة بصفته رسولا – قائداً له حق السمع والطاعة على اتباعه كافة.

لقد أدى نجاح الرسول ﷺ في الحصول على أنصار له من أهل المدينة الى شعور مشركي مكة بالخطر وقيامهم بتشديد الخناق على المؤمنين في مكة ومحاولة فتنتهم عن دينهم ، فكانت الفتنة الأخيرة التي أصابت المسلمين والتي حملتهم على المسارعة في الهجرة الى المدينة. يقول الطبري في رواية له عن عروة بن الزبير أنه حين بايع الأنصار

(٨٠) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص٤٤٩ .
(٨١) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٤٩ .
(٨٢) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠ .
(٨٣) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٥٤ .

الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية اشتدت قريش على المؤمنين من أهل مكة « فأمر رسول الله ﷺ بالخروج الى المدينة وهي الفتنة الآخرة ، التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله عزّ وجل فيها : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله (٨٤) ﴾ (٨٥) .

سادسا : الهجرة الى المدينة :

لقد سعى الرسول ﷺ بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية مع أهل المدينة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية عشرة للبعثة على تشجيع اصحابه المكيين للهجرة الى المدينة قبل أن يهاجر هو بنفسه وذلك من أجل توجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصول اتباعه الى المدينة بسلام واستقرارهم فيها .

يقول ابن اسحاق أنه حين أمر الرسول ﷺ أصحابه المكيين « بالخروج الى المدينة والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم من الأنصار، وقال : ان الله عزّ وجل جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا – أي جماعة في اثر جماعة – ، واقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة » (٨٦) .

وقد حاول المهاجرون ان يحيطوا أمر مغادرتهم لمكة بجو من الهدوء والسرية كي لايثيروا حفيظة قريش عليهم فتعمد الى منعهم من الهجرة واضطهادهم « فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك » (٨٧) . غير ان المحافظة على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مدينة مكة كانت أمرا في غاية الصعوبة وبخاصة وأن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها مثل بني مظعون وبني جحش بن رئاب البكير« فان دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن » (٨٨) .

ويبدوان بعض الأسر المكية قد حاولت منع ابنائها من الهجرة باستخدام القوة ضدهم وعملت على فتنتهم عن دينهم . فقد ذكر ابن اسحاق أن عمر بن الخطاب حينما أراد

---

(٨٤) سورة الانفال ، الآية ٣٩ .

(٨٥) الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٨٦) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٦٨ .

(٨٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٨٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٩٩ .